Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256
مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ

العدد السابع عشر – حزيران – 2026 / June

الاستشراق وأثره في نهضة النثر

م.م. عبدالله سلام منصور الصافي [1]
[1] جامعة القاسم الخضراء - كلية التقانات الاحيائية - العراق

abdullah@biotech.uoqasim.edu.iq

ملخص. بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على اشرف الخلق اجمعين ابي القاسم محمد وعلى اله الطيبين الطاهرين اما بعد .. فقد لعب الاستشراق دوراً فعّالاً في الادب العربي فقد اخذ به من دائرة العزلة الى دائرة الانفتاح والتطور إذ كان له الاثر الفعّال في كافة جوانب النهضة الادبية, فهو من اهم عواملها الادبية حديثاً نتيجة لاتصال الثقافتين العربية، والغربية بوساطة المستشرقين. وقد اقتضت الدراسة أن يقسم البحث إلى مقدمة، وتعريف للاستشراق في اللغة، والاصطلاح، والنهضة الادبية واهم العوامل التي ادت الى اليها، وموضع انطلاقها ثم نهضة النثر واثر الاستشراق فيه ومن ثُمّ خاتمة تضمنت اهم ما توصلت اليه الدراسة.

Abstract. In the name of God, the Most Gracious, the Most Merciful, and peace and blessings be upon the noblest of all creation, Abu al-Qasim Muhammad, and upon his pure and righteous family. Orientalism played a pivotal role in bringing Arabic literature out of isolation and into a sphere of openness and development. It was instrumental in all aspects of the literary renaissance, being one of the most important factors in the modern literary renaissance as a result of the interaction between Arab and Western cultures through Orientalists .This study necessitates dividing the research into an introduction, a definition of Orientalism in language and terminology, its connection to the literary renaissance and the most important factors that led to this renaissance and its starting point, the renaissance of prose and the impact of Orientalism on it, and a conclusion

Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256
مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ

1. الاستشراق لغة واصطلاحاً :

1.1. الاستشراق لغة :

ونحن نخوض في الاستشراق، واثره في النهضة الادبية لا بد ان نعرج على التعريف اللغوي، ولاصطلاحي لكلمة (استشراق)، واذا ما بحثنا في المعاجم اللغوية نجدها تعود الى : كلمة (اشراق) من شرق والمُعبّرة عن الشروق, فنقول مثلاً : شرقت الشَّمس وتشرق شروقاً أي إذا طلعت (الانصاري، 1990، صفحة 173) . كما تعني لفظة شرق: نقطة او جهة طلوع الشمس, التي تمثلها المناطق الواقعة جغرافياً شرقاً, ومنها اشتقت كلمة استشراق التي تعني: اتجاه الغربيين صوب الشرق, والاهتمام بتراثه وحضارته ولغاته وعليه اطلق على هؤلاء الغربيون صفة (مستشرقون) التي تدل في معناها على علماء الغرب المهتمين بدراسة الشرق (حموي، 2003، صفحة 765) .

1.2. الاستشراق اصطلاحاً :

يرى جل الدارسين الغرب ان الاستشراق كمصطلح رغم ظهوره في البلاد الغربية منذ ما يقارب قرنين من الزمان, فأنه لم يطلق ابحاثه فيما يتعلق بالشرق من لغات واديان, وان كلمة مستشرق كانت اسبق منه ظهوراً, اذ ظهرت في انجلترا سنة 1779م وفي فرنسا سنة 1799م ثم بعدها ليتضمنها قاموس المجمع العلمي الفرنسي سنة 1838م . وهو ما يؤكده المستشرق اربري في بحث له حول هذا الموضوع بقوله: والمدلول الاصلي لاصطلاح مستشرق كان في سنة 1638 م احد اعضاء الكنيسة الشرقية او اليونانية. وهذا التأخر في اطلاق مصطلح استشراق, وأدراجه ضمن المعاجم الغربية المختلفة إنما لا يعني شيئاً اكثر منه اقرار امر واقع, واطلاقه كوصف لعلم قامت عليه دراسات فعلاً بعد ذلك بحقب متعاقبة بتعاقب العصور الزمنية العديدة (علي، 2000، صفحة 20). اما رودي بارت فيرى ان الاستشراق هو : "علم يختص بفقه اللغة خاصة, واقرب شيء اليه إذن ان نفكر في الاسم الذي اطلق عليه , كلمة الاستشراق مشتقه من كلمة "شرق" وكلمة شرق تعني مشرق الشمس, وعلى هذا يكون الاستشراق هو علم الشرق او علم العالم الشرقي (بارت، 1967، صفحة 11). ويعرف المفكر ادوارد سعيد الاستشراق بأنه نمط من الإسقاط الغربي على الشرق وإرادة السيطرة عليه (سعيد، 2005، صفحة 189). أما أحمد حسن الزيات فيرى أن الاستشراق اليوم هو دراسة الغربيين لتاريخ الشرق وأممه ولغاته وآدابه وعلومه وعاداته ومعتقداته وأساطيره (الزيات، 1997، صفحة 378). ويرى الطيب بن براهم أن "الاستشراق لا يعتبر تاريخا أو جغرافيا فقط ولا إنسانيا أو ثقافة فحسب ، وإنما هو مجموع ذلك كله، فهو مكان وزمان وإنسان وثقافة والحديث عن الاستشراق مرتبط ارتباطا عضويا وتكامليا مع هذه العناصر الأربعة الأساسية (براهم، 20004، صفحة 120). وبصورة عامة يمكن

Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256
مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَولِيّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ

تعريف الاستشراق بأنه " أسلوب من الفكر قائم على تمييز الوجودي والمعرفي بين الشرق والغرب، ويستخدم دراسات أكاديمية يقوم بها علماء غربيين للإسلام والمسلمين من شتى الجوانب عقيدة وشريعة وثقافة وحضارة وتاريخ ونظم وثروات وإمكانات . (الصغير، 1982، صفحة 11)

1.2.1. 1- النهضة الادبية :

لا بد من الاعتراف بأن النهضة الادبية قد مرت منذ منتصف القرن الثامن عشر حتى الان بفترات مختلفة تتميز كل منها بطابعها السياسي والاجتماعي، والثقافي لأن الفترة التي تبدأ من ظهور الدعوة الوهابية وتنتهي مع تولية محمد علي على عرش مصر تختلف عن الفترة الثانية من عهد محمد علي الى الثورة العرابية وهي بطبيعة الحال غير الفترة الثالثة التي تبدأ بالاحتلال البريطاني وتستمر الى نهاية الحرب العالمية الاولى وتشمل الفترة الرابعة ما بين الحربين او على الاصح ما بين الثورتين في عامي 1919و1952 وهي تختلف دون شك عن تلك الفترة الخامسة التي جاءت بعد الثورة العربية الكبرى عام 1952م, اذ لم تبدأ هذه الثورة الا بعد تعمق الحياة العقلية جذورها في مصر على ايدي ابناءها الذين نقلوا من الغرب كل ما كان في وسعهم وبعد ان تبنت عقولهم الافكار التي جاء بها الاسلامي جمال الدين الافغاني الى مصر وخاصة بعد ان صاغها الامام محمد عبده رائد الفكر الاسلامي بعده (سمايلوفتش، 1998، الصفحات 444-445). علماً إن النهضة الادبية الحديثة كما يحددها العديد من المفكرين بدأت بتاريخ قدوم نابليون بونابرت إلى مصر ليشكل حقبة امتدت في مطلع القرن العشرين (درويش، 2004، صفحة 87)، ويمكننا ان نضيف رأي عبد الرحمن عثمان الذي يقول : ((بدأت اليقظة الادبية حينما توافرت دواعيها في البيئة المصرية, استكمالاً لمظاهر النهضة ورغبة في اعداد جيل مثقف علمياً وادبياً, فنشطت الجهود الى تهيئة الوسائل الكفيلة ببلوغ تلك الغاية ومن ثم اخذت تخطو الى اهدافها مسرعة تستميل الافكار والعواطف الى تراثنا الادبي القديم, وقد تضافرت جميع القوى في بعث هذا التراث واحياءه فيسرت للشباب الاتصال بالات البيان وقدمت اليه اشهى ثمرات الموهبة العربية الاصيلة (المصدر نفسه ، صفحة 447)

1.2.2. عوامل النهضة الادبية :

للنهضة الادبية الحديثة عوامل مختلفة لعل ابرزها إنشاء دور النشر والطباعة إذ لعبت دوراً حضارياً فعالاً ساهم في بعث الكلمة وايصالها مكتوبة، ومقروءة إذ انها وسعت نطاق العلم والمعرفة وزادت من طباعة الكتب وشجعت على النشر، والتأليف بين الادباء. وتعد المطبعة الامريكية التي نقلها المبشرون الانجيليون معهم من مالطا الى بيروت سنة 1834 اول مطبعة في القرن التاسع عشر ثم اليها مطابع اخرى منها الذي اقامها اليسوعيون في بيروت سنة 1844 وكان لهذين المطبعتين الاثر الفعال في بث الثقافة ونشر الكتب

الحديثة في مجال ايقاظ النهضة وبعد هاتين المطبعتين تعممت دور النشر واتسعت بعدها في ارض سوريا (البقاعي، 1990، صفحة 128) . كذلك في لبنان، ومصر حيث نهضت الطباعة نهضة عظيمة في عهد اسماعيل اذ اهتمت الحكومة واولت عنايتها في مطبعة بولاق وانشئ بعد ذلك عدة مطابع اهلية منها مطبعة وادي النيل والمطبعة الوطنية (سمايلوفتش، فلسفة الاستشراق واثرها في الادب العربي المعاصر، 1998، صفحة 124)، وقد كان للترجمة الدور البارز اذ ان الأدب اذا لم يتطعم بآداب توازيه او تفوقه تطوراً يبقى منكمشاً على ذاته منطوياً على نفسه بذلك لعبت الترجمة الدور البارز في نقل التراث الانساني العالمي، ويعد رفاعه الطهطاوي من الرواد الاوائل في هذا المجال إذ سنحت له الفرصة عندما ارسله محمد علي اماماً لأول بعثة مصرية الى فرنسا فترجم اكثر من عشرة مؤلفات بين كتاب، ورسالة ثم بدأ في تأليف كتابه" تخليص الإبريز إلى تخليص باريز "ويدور موضوع الكتاب حول حضارة الغرب وأهمية التعرف عليه (التواب، 2005، صفحة 18) . وقد كانت الترجمة العجلة الفعالة في دفع عجلة التطور وبعث الوعي الجديد والاطلاع على الافكار العصرية القادمة من أوربا، بهذا يكون للترجمة والتعريب الفضل الاكبر في تعريف أبناء الشرق على المبادئ الحديثة العلمية والاجتماعية والفكرية والفلسفية لبلاد العرب (عائشة، 2017، صفحة 6) وقد كان الاثر الاعمق في جوانب متعددة من الحياة الاجتماعية اصدار الصحف والمجلات في ذلك العصر إذ تقوم ببث الوعي ونشر الثقافة والادب والاخلاق وهكذا ساعدت الصحافة على تحرير اللغة مما ورثته من عصور الانحطاط ولا سيما السجع, والمحسنات والزخرف اللفظي (بقاعي، صفحة 153). فالصحافة تعد من اقوى عوامل النهوض بالشعب إذ كانت الصحف والمجلات هي الوسيلة الوحيدة لنقل الاخبار وتنوير الرأي العام العربي. وقد كانت اول جريدة عربية هي الوقائع المصرية التي صدرت عام 1828 وعهد تحريرها الى الشيخ حسن العطار والشيخ شهاب الدين (التواب د.، 2005، صفحة 21). وكان لهذه الصحف والمجلات الاثر الواضح في نقل الاخبار والافكار والعلوم ومن اشهر الصحف التي اسسها اللبنانيون هي: "الاهرام التي أسسها سليم نقلا عام 1875 وبعدها صحيفة النظارة الزرقاء التي أسسها يعقوب صنوع سنة 1877والعصر الحديد لسليم النقاش (البقاعي، ادب عصر النهضة، صفحة 128) . هذا بالإضافة إلى المطابع والمطبوعات التي أصدرت بدورها العدد الهائل من الكتب والصحف والمجلات الذي كان لها الدور البارز في نهضة الادب (نفسه، صفحة 128) وقد تسرب كثير من كنوز المعرفة العلمية الى مكتبات اوربا والعالم كله بواسطة الكتب والمكتبات حتى جاء عمر اسماعيل فأنشئت الحكومة دار الكتب وجمعت هذه الكنوز الذي كانت مبعثرة في المساجد وضمت اليها الفي كتاب اشترتها من مكتبة حسين باشا بعد وفاته (التواب ص.، مدارس الشعر العربي في العصر الحديث، صفحة

Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256
مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ

22)، ومع هذه المسيرة مع قافلة الأدباء العاملين في شتى المجالات والحقول في البحث والتأليف والترجمة، تجمعت مكتبة عربية ازدادت على غناها التراثي غنى وأبرز مكتبين في مستهل عصر النهضة في بيروت هما مكتبة الجامعة الأمريكية والمكتبة الشرقية للآباء اليسوعيين وبعدها جاء دور المكتبة الوطنية التي تأسست في عهد الانتداب وكانت تدعى بدار الكتب إذ استجلبت لها الكتب من الشرق والغرب كما ضم إليها فيما بعد المكتبات الكبرى التي كان يمتلكها كبار المفكرين مثل مكتبة العلامة أحمد تيمور وغيره (البقاعي، ادب عصر النهضة ، صفحة 136). اما الاستشراق فهو من اهم عوامل النهضة الادبية الحديثة نتيجة لالتقاء الثقافتين الغربية والعربية وقد كان الشرق غزيرا وعامرا بمدارسه وجامعاته ونشاطه في التدوين والترجمة والفلسفة والعلوم والمنطق وهذا ما جعل الغرب يولي اهتمامه للحضارة العربية فاكتسبوا من الثقافة الشرقية ما أتاح لهم إثراء ثقافتهم واغنائها ثم ادخلوا أيضا إلى مدارسهم اللغة العربية وتعلموها حتى سنحت لهم الفرص أن يترجموا أو ينقلوا الكتب العربية إلى لغاتهم فكانت هذه الكنوز كافية لاهتمام أهل الغرب حتى أصبحت الأساس المعتمد لبناء حضارتهم والقيام بالنهضة في بلادهم (البقاعي، ادب عصر النهضة، صفحة 147)

نهضة النثر: إنّ اهم ما يميز النثر العربي قبل الاسلام الجمل القصيرة التي لا ترابط بينها مثل الحكم، والامثال، وكثرة الغريب، وجزالة الالفاظ، وتؤكد الدلائل على انه ازدهر خلال فنون الكلام المعروفة مثل المناظرة والخطابة وغيرها من الفنون (الشعكة، 1968، صفحة 165) . وقد وجد النثر الفني عند عرب الجاهلية وقد وصلت الينا الصورة باهتة ضئيلة لشيوع الامية وقلة التدوين (المسلوت، محاضرات في الادب العربي ، 1963، الصفحات 60-61). بعد الاسلام استمد قوته من الطبيعة العربية التي اخذت تتأدب بآداب الاسلام واساليب القران حتى تفوقت على الحضارات الاخرى وبنت حضارتها الجديدة التي وقفت شامخة كالطود الاشم بعد قرن من الزمن من اندفاع اصحابها من جزيرة العربوكان النثر في اثناء ذلك يحيا حياة طبيعية يستمتع فيها بالحرية والبساطة, وقد مثل الكتابة العربية رجال مثقفون نهضوا بالنثر الفني واشتهر من بينهم ثلاثة رجال هم : عبد الحميد بن يحيى الكاتب في نهاية العصر الاموي , وعبدالله المقفع, في اوائل العصر العباسي, وابو عثمان الجاحظ, في القرن الثالث (حمزة، 1964، الصفحات 1-2) . ولكل منهم طريقة في النثر يمكن من خلالها تتبع مراحل ازدهاره, وقد بلغ النثر ذروة مجده في عصر الجاحظ وبفضله وعلى يديه وبعد مضي هؤلاء ضل اثرهم مشعاً زمناً غير قصير حتى دخل النثر قرنه الرابع الهجري وتغلبت عليه الوان السجع والترف والبديع بألوانه المختلفة ومن اعلامه اولئك الافذاذ الذين يفخر بهم الادب العربي من امثال الصاحب بن عباد, والصابي , والثعالبي, وبديع الزمان الذي ابتكر فن المقامات

لتعليم الناشئة اسرار اللغة واساليبها الدقيقة (سمايلوفتش، فلسفة الاستشراق، صفحة 474). ثم بعد ذلك تعقدت اساليبه وعباراته واهتم اصحابه بالألفاظ, ولجأ اليها الفيلسوف ابو العلاء المعري (ضيف، 1965، الصفحات 189–190)، واتبعه ابو القاسم الحريري الذي اعطى مثالاً صادقاً لهذا النوع من النثر مبرزاً اياه بمهارة فائقة, تكاد تحوله الى معجزة فنية بحتة وكان ثالث هذا الثالوث هو الحصكفي الذي لم يصلنا من نثره الا القليل .. انفرد بميله الى الجناس بأشكاله والوانه فأبتكر فيه وخضعت له الالفاظ حتى تلاعب فيها الى ابعد مدى وتجلى ذلك في طرائقه الملغزة (سمايلوفتش، فلسفة الاستشراق واثرها في نهضة الادب العربي المعاصر، صفحة 474). بعد ذلك انغمس النثر في الكتابة المعقدة والزخرف اللفظي والبيان المجازي ومن اعلامه القاضي الفاضل وابن الشخبان العسقلاني وضياء الدين بن الاثير وغيرهم وقد عرفت هذه الطريقة بالفاضلية نسبة الى صاحبها وقد سيطرت هذه الطريقة على هذا الفن طوال القرون السابع والثامن والتاسع للهجرة, الى ان جاء الوقت التي كان لا بد لهذه الطريقة ان تصاب بالجمود الشديد, وان تدخل الكتابة العربية في طور العقم والشيخوخة وهو الطور الذي اقترن بالقرون العاشر والحادي عشر والثاني عشر للهجرة وذلك في اثناء الحكم العثماني (حمزة، ادب المقالة الصحفية ، الصفحات 80–81). بعد ذلك اخذت الشعوب تشعر بالحاجة الى النهوض فأخذت تتيقظ من غفلتها وحدث ما لم يكن يتوقعه الاستعمار اذ اخذت اصوات العلماء والمفكرين والادباء تدوي في اقطار الضاد حتى افاقت شعوبها على صيحات امثال محمد بن عبد الوهاب ورفاعة الطهطاوي, وجمال الدين الافغاني, ومحمد عبده وعبد الرحمن الكواكبي, ومصطفى كامل, وابن بادس, وعباس محمود العقاد وغيرهم ممن اسهموا اسهاماً فعالاً في انتعاش النثر المعاصر الذي كان سباقاً في حمل راية النهضة العربية في الاعصر الاخيرة . وما من شك ان نشاط هؤلاء وامثالهم قد نتج عنه تحول عظيم في النثر العربي الذي انهار في اواخر العصر العثماني من حيث الاسلوب والمضمون معاً وكانت عباراته سقيمة تتهالك عياً وسخفاً, مقيدة بقيود ثقيلة من الحلي والزخرفة المصطنعة المتكلفة لتخفى ما وراءها من معنى غث مرذول , وفكرة تافهة ضحلة, اخذها الكاتب ممن سبقه, وعجز عن الاداء في ذلك الثوب المهلهل الرث, وكثيراً ما تعوزه الكلمة وتغلبه العامية والكلمات التركية الدخيلة فيأتي كلامة اشبه شيء بالرموز والاحاجي (الدسوقي، بدون تاريخ، صفحة 26)هذا وقد تخلص النثر من قيود البديع وهذا كله بفضل اتصال العلماء والكتاب والتراث القديم التي اتجهت اليه حركة الاحياء. ولا ريب ان الامام محمد عبده كان الرائد الاول في تحرير النثر من قيوده , فحينما ولى تحرير الوقائع المصرية اظهر تشددا في قبول ما ينشر في الجريدة وبهذا صرف الكتاب عن السجع والجناس الى نوع من الكتابة فيه ترسل وبساطة ومن ذلك الحين اخذ اغلبية الكتاب يستمدون نشوتهم الادبية من التراث العربي الاصيل ويدافعون

Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256
مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ

عن لغته ويبحثون في ادبه وتاريخه ويبرزون عظمة العرب ويهاجمون الاستعمار الغربي والاستبداد التركي ويتقدمون بترجمات من روائع الادب العالمي ويجاهدون في تحرير الفكر من التقليد ويقومون بتجديد الاساليب ويصدرون الصحف والمجلات , ويشيدون بالمرأة ودورها في المجتمع ويدعون الى الوحدة والمقاومة وغيرها من الاعمال التي ادت الى انبثاق النهضة ومسيرة التحرير (سمايلوفتش، فلسفة الاستشراق واثرها في نهضة الادب المعاصر، الصفحات 475-476) .

ومن هنا تتجلى حقيقة ان ادباء النصف الثاني من القرن التاسع عشر لم ينسجوا على منوال ما كان شائعاً في عصور الانحطاط وانما كانوا يكتبون على غرار طريقة عبد الحميد الكاتب وابن المقفع والجاحظ وابن العميد وبديع الزمان وغيرهم محاولين الاقتراب منهم بقدر المستطاع ومن غيرهم الذين عاشوا في العصور الذهبية للآداب العربية واتخذوهم قدوة لهم في هذا الميدان الفسيح (هيكل، 1968، صفحة 26)

وهناك اسماء لامعة تجذب نظر الباحث للالتفاف اليها لأنها اضاءت الطريق أمام النثر الفني الحديث مما اسدى الى العربية وآدابها خيراً كثيراً ومن بين هؤلاء الشيخ حسن العطار (1766-1853) في مصر, والشيخ شهاب الدين الالوسي (1802-1854) في العراق والشيخ ناصيف اليازجي (1800-1871) في الشام ورفاعه رافع الطهطاوي (1801-1873) في مصر ثم بطرس البستاني (1819-1883) في لبنان وغيرهم ثم انطلق النثر كالشهاب الراصد مع الامام محمد عبده (1849-1905) . وقد لعب كل واحد من هؤلاء دوراً كان له شأن عظيم في نهضة النثر الحديث وازدهاره, وكانت مصر زعيمة النهضة العقلية التي اثرت بدورها تأثيراً بالغاً في النهضة الادبية في اقطار الضاد, واشعلت نيرات الشعور باستقلال شخصية الانسان العربي وحقه المشروع في التمتع بالحرية التي جاء بها طلاب البعثات حين عادوا الى الوطن واذا تذكرنا بجانب هذا كله العناصر التي اشرنا اليها فيما مضى وتقدمنا الى النصف الثاني من القرن الماضي مضيفين الى ذلك ظهور المسرح في غير مصر من بلاد العرب وما فتحت هذه الحركة من الافاق امام الكتاب والادباء, فأن امامنا عناصر كثيرة أدت الى بدايات النثر العربي الحديث, إذ كان لازدهار النثر الفني عوامل كثيرة من بينها العناية باللغة العربية وآدابها في المدارس والمعاهد والجامعات, واحياء مصادر الادب العربي القديم, وطبع احسن مؤلفات الادباء المعاصرين وظهور المجلات الادبية, وعناية الصحف اليومية بالأدب, وانشاء دار الكتب المصرية وكثرة ما ترجم من آداب الغرب الى العربية , وتعدد الثورات الشعبية التي احتاجت الى الخطابة وقيام الصحف ما دعا الى نهضة الكتابة . وكان عبدالله النديم (1843-1896) يكتب مهاجما الاستعمار والاستبداد معنياً بتوجيه الصحافة الى العمل الوطني , حتى عدّ قوة محركة في عهد الثورة العرابية اذ اصدر ثلاث صحف "التبكيت والتنكيت" عام 1881م و"الاستاذ" عام 1891م وعبد

Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256
مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَولِيّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ

الرحمن الكواكبي (1849–1902) الذي جاهد جهاد المستميت في مقاومة الاستبداد, قائماً بالدعوة الى الحرية, وتعليم المرأة وتحريرها , وابراهيم اليازجي(1848–1906) الذي وهب حياته كلها للاشتغال باللغة العربية وحمايتها , كما اشتغل في الصحافة وعلي مبارك (1823–1893) الذي يعتبر من اعلام النهضة الحديثة الافذاذ إذ كان زعيم النهضة التعليمية في عهد اسماعيل (سمايلوفتش، فلسفة الاستشراق واثرها في نهضة الادب المعاصر ، الصفحات 476–480) .

ومن الجلي ان النثر العربي الحديث مر بمراحل مختلفة تتميز احداهما عن الاخرى الى ان صاحبه في كل منها صراع عنيف بين القديم والجديد كما هو الامر دائماً في مثل هذه الانتفاضات وارهاصاتها الفكرية والادبية معاً ويتمثل هذا الصراع فيما كان يجري في ادبنا منذ القرن الماضي من تيارات عربية وغربية (ضيف، الفن ومذاهبه في الادب العربي، صفحة 19)اما التيار العربي فقد قام بالدفاع عن الاصالة الذاتية وصلاحيتها لتقدم المجتمع العربي وتطوره , وقاوم كل ما هو غريب عنه وبعيد عن اماله محاولا احياء التراث الاصيل واعادة البناء على الاساس السليم الذي وضعه الاجداد وطوره الاحفاد المخلصون لدينهم ولغتهم وادبهم وان تأثروا بغيرهم في المنهج وتطبيقه (السابق، صفحة 198) وقد خطى النثر الفني خطوات واسعة مع رفاعة رافع الطهطاوي (1801–1873) . نحو التجديد حتى يمكننا ان نتفق مع من يقول ان الطهطاوي حامل لواء الحركة التجديدية في العالم العربي كله في ميدانيه الكبيرين : الاسلوب والمضمون, وهو تمثيل الصورة التي امتدت طويلا خلال تاريخ حياتنا الادبية, إذ يجمع بدقة وقوة بين اللونين الذين ظلا يؤثران في حياتنا الفكرية, ويمزج بينهما, وهما الثقافة الدينية والثقافة الغربية وقد استطاع ان يمزج بين اسلوبي المحافظة والتجديد في اعتدال وقوة ويقطع بذلك مرحلة طويلة في هذا الطريق الذي سار عليه من بعده (الجندي، 1968، صفحة 12) . واذا كان الشيخ الطهطاوي قد آثر التجديد في الاساليب كما بينا, فأن الشيخ ناصيف اليازجي (1800–1871) ظل عاكفاً على التقليد فيها. ومع ذلك فأنه ظل عاكفاً على التقليد فيها , ومع ذلك فأنه علم من اعلام النهضة العربية الحديثة في القرن التاسع عشر لا تكاد تذكر النهضة العربية الا ويتبادر الى الذهن ذكره لما له بين اقطابها من منزلة عالية ويكاد يكون من المتفق عليه بين المؤرخين ان اركان النهضة في سوريا ولبنان ثلاثة وهم: الشيخ ناصف اليازجي وبطرس البستاني واحمد فارس الشدياق (المقدسي، صفحة 19) .

وهكذا ظل النثر العربي الحديث خلال هذه الفترة, كما كان شأنه في طليعة الدفاع عن الاصالة امام هجمات مستمرة حتى لم يستطع الغزو الثقافي الاوربي ان يسلب من النفس العربية سر حياتها لكنه ضاعف من نشاطها وحيويتها بما اقتبست منه في مجال المسرحية والقصة بمفهومها الحديث والمقالة الصحفية

مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ
Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256

والشعر المسرحي مما يؤكد اهمية فنون الادب العربي المستحدثة ودورها الخطير الذي لعبته في العصر الحديث (بدر، 1963، الصفحات 11-12). فقد ازالوا الحواجز التي كانت تفصل بين آدابهم والآداب الاخرى حيث اخذت اعمالهم الفنية تترجم الى اللغات المختلفة وهذا الفضل يرجع الى علماء الاستشراق الذين ركزوا كل اهتماماتهم على الادب العربي الحديث الذي اخذ يصعد الذرا ويطلع العلا بكل ما فيه من افكار واتجاهات حتى اخذ يسدي الى الآداب الاخرى خيرات كثيرة ويضيف اليها اضافات جديدة تدفع بالأدب الى افاق اخرى (سمايلوفتش، فلسفة الاستشراق واثرها في نهضة الادب المعاصر ، الصفحات 487-489)

1.2.3. اثر الاستشراق في نهضة النثر :

اطل الادب العربي على منافذ الثقافات العالمية وأشرف على منابعها يستلهمها ويلهمها أجل الآيات والروائع يؤثر فيها في القديم، والحديث ويتأثر بها. وذلك في عصور نهضته وازدهاره (الخفاجي، بدون تاريخ، الصفحات 1-2). ومن الجلي ان يكون بين ادب واخر، وقد يكون في الجنس الادبي او في المواقف الادبية او في الافكار، والموضوعات، والاحاسيس وقد يظهر في النواحي الفنية التي تتجلى في الاتجاه والصياغة والاساليب (السابق، الصفحات 2-3) وقد قام المستشرقون بجهد عظيم في سبيل الكشف عن تأثير الادب العربي في الفن القصصي الاوربي ونضيف الى ذلك ان الفن القصصي الكلاسيكي قد طغى عليه النسيان في العصور الوسطى, وان اثر الادب العربي في هذا المجال سوف يكون اعظم، ودور المستشرقين في سبيل اكتشافه سيكون اروع مما يتوقعه احد لان تجاهل اثر الادب العربي في الغرب قد استغل بطرق مختلفة, على الرغم من معرفة الجميع ان اندفاعه كان حقاً شيئاً جديداً على اوربا. وهكذا هب تيار هذا الادب الجديد على اوربا من ناحيتين: من الشرق العربي من سوريا ومصر والغرب العربي من الاندلس (الشوباشي، 1968، صفحة 107) واول قصة عربية عرفتها اوربا هي (محاضرات الفقهاء) لبدرو الفونسو الذي وضعها في اوائل القرن الثاني عش, واول من قام بدراسته هو مليا‌س فاليكروسا الذي اشاد بدوره في نقل التراث العربي الى الغرب إذ لم يكتف بنشاطه في اسبانيا فحسب. بل رحل الى انجلترا ايضاً. إذ اصبح طبيباً خاصاً لهنري الاول وقام بتدريس علوم الفلك واشرف على الترجمة لتقويم الخوارزمي الذي عمله ادبلار دي باث ويكفينا دليلاً على اهمية هذه القصة ان طبعاتها اللاتينية تعاقبت مرات عديدة بعد نشر ترجمتها الفرنسية 1824م لاول مره وعندما نشرت عام 1911م فقد طبعت على اساس 63 مخطوطاً مما يدل على انتشارها الواسع في اوربا , وكانت اخر طبعاتها التي نشرها انجيل جتثالث عام 1948م في مدريد ويؤكد الباحثان انها قد الفت اولاً بالعربية من اجل تهذيب النفوس وهداية الارواح الى طريق الكمال,

Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256
مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ

ثم تم ترجمتها الى اللاتينية لتكون في خدمة رجال الدين المسيحيين وعطائهم للجمهور وأكد شوفان اثرها في الآداب الاوربية المختلفة إذ ترجمة الى معظم لغاتها ولهجاتها كذلك, ويكفينا دليلاً على فضلها ان استسقى منها عدد من الادباء أمثال خوان مانويل, وبوكاتشو, ونشوسير, ومولييز, وسرفانتيس, وغيرهم .

ونأتي بعد ذلك قصة "كليلة ودمنه" لبيديا بترجمة ابن المقفع وهي " اول كتاب عرفته العرب في القرن الثاني الهجري من القصص المترجم " (بيومي، 1956، صفحة 22) اما اثر " كليله ودمنه" في الآداب الاوربية التي اكتشفه المستشرقون المذكورون وغيرهم فقد بدأ قبل لافونتين بوقت طويل, إذ تأثر بها رايموندلال (1235–1315) في مؤلفه " كتاب الوحوش" كما تأثر بوكلتشو في قصته الشهيرة "الليالي العشرة " وهي احدى دعائم النهضة الاوربية المعروفة . وإذا كان في امكاننا ان نتتبع كشف الاستشراق في هذا الميدان واثره فيه من كتاب الى غيره ونعرج على القصص العربية الاخرى التي كان لها ابلغ الاثر في الآداب الاوربية مثل " قصة السندباد " و " المقامات " و " حي بن يقظان " وغيرها وترجماتها الى العبرية ومنها الى الاسبانية ودراسات الاستشراق لها واهتمامه بتأثيرها جميعاً في الآداب الغربية. وهنا نشير بإيجاز الى اثر الاستشراق في مجال دراسة اصحابه لرائعتين ادبيتين : احداهما عربية واخرى اوربية ونعني بهما " الف ليلة وليلة " و " الكوميديا الالهية " وذلك لأهميتها البالغة وعناية المستشرقين الفائقة بهما, وعلاوة على هذا وذاك فأنهما تغنياننا بروعتهما وجهود الاستشراق حولها عن التجوال الطويل والسرد الكثير (سابق، فلسفة الاستشراق واثرها في نهضة الادب المعاصر ، صفحة 588) .

اما " الف ليلة وليلة " فقد ذاع صيتها شرقا وغرباً, وكل ادب يفخر بترجمتها الى لغته, ولا نجد ادباً الا اثرت فيه فقد ذكرت في اكثر المصادر العربية ولكن اول من نبه الى وجود هذا الذكر هم المستشرقون الذين انفردوا تقريباً بدرس هذا الاثر العظيم (القلماوي، 1966، صفحة 14) . وقد قامت بدراستها الباحثة العربية (سهير القلماوي) في دراستها الممتعة حقاً, إذ افردت قسماً خاصاً تناولت فيه (الف ليلة وليلة) في الشرق والغرب, واكدت ان اول من اشار الى اهميتها هي الترجمة التي قام بها انطوان جالهان التي قام بجمع عدد كبير من المخطوطات العربية النادرة, وعلى من ان ترجمته إياها لم تكن امينة بدرجة كبيرة فأنها قد اثارت دوائر الاستشراق. ومن هنا اتجه الى دراستها وترجمتها عدد من ابرز المستشرقين من امثال ماكدونالد, وجوتييه، ودولاكره، وليمثان وغيرهم, وتؤكد سهير القلماوي انه لم يبق شعب اوربي تقريبا الا قام احد ابنائه بترجمة هذه التحفة الادبية العربية (السابق، الف ليلة وليلة ، صفحة 23), وقد كان اهم ما شغلهم هو البحث عن اصل الف ليلة وليلة وفي هذا اتجه البحث الى ناحيتين : ((الاولى هي محاولة استيعاب النسخ المختلفة, لعلهم يصلون الى الاقدم فعثروا على نسخ مختلفة متعددة. والثانية هي البحث النظري عما قد يكون اصلها

Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256
مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَولِيّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ

(نفسه، الصفحات 25–26)، وقد اختيرت دراسة ليدن وبرتن وليثمان حول اصل هذه القصة, واحيطت بآراء شوفان وفييت وبالجريف، ونولدكه، وهورفيتش، وأويستروب الذي وضع رسالة الدكتوراه بحثاً عن الف ليلة وليلة وغيرهم (نفسه، صفحة 50) وانتهت الى حكمها عن بحث المستشرقين في اصل الليالي, قائلة : " نلاحظ ان انجاه البحث كان منصباً اول الامر على نصوص من كتب قديمة ذكرت الليالي وكان العثور على نص كهذا يعد فتحاً في الميدان , ولكن ابهام هذه النصوص وعدم عنايتها بوصف ما تذكر وصفاً بعين الباحث على تحديد الصور التي ذكرت دفعا الباحثين الى ان ينظروا في شيء اخر فاتجهوا تحو القصص نفسها " (نفسه، الصفحات 69–70). وما دام قد اتضح ان الفضل لكشف تأثير " الف ليلة وليلة " في الادب الاوربي يرجع الى الاستشراق الذي أثار بذلك النفوس العربية الحديثة فأقدمت على دراسة هذا التأثير والنفاذ الى فضله على الآداب الاخرى, فأننا نستطيع ان ننتقل الى الروعة الاوربية التي ذكرناها انفاً

وأما " الكوميديا الالهية " لدانتي اليجيري فهي الروعة العالمية التي لعبت دوراً عظيماً في النهضة الاوربية. وكان من يعرف شيئاً عن أي دور اوربي بل عن أي ادب اخر لا بد ان يعرف ولو امراً بسيطاً عن هذا العمل الادبي الرائع , وصاحبه دانتي اليجيري , الشاعر الجندي السياسي المصلح, المتصوف الذي عده حسن عثمان من طراز ابن سينا والغزالي وابن رشد والبرت الكبير , وروجير , وتوماس الاكسويني, وغيرهم من عباقرة العصور الوسطى, بل كل العصور .

وفي سنة 1949م اصدر انريكو تشيرولي المستشرق الايطالي وسفير بلاده في طهران, مؤلفاً بعنوان " كتاب المعراج ومسألة المصادر العربية الاسبانية للكوميديا الالهية " ونشر تشيرولي في كتابه الترجمة اللاتينية والفرنسية القديمة لأحدى صور المعراج الاسلامي وتلخص قصة هذه الترجمة في ان الفونسو العاشر ملك قشتالة امر بترجمة هذه الصورة من صور المعراج الاسلامي من العربية الى القشتالية, وقام بالترجمة ابراهيم الحكيم الطبيب اليهودي سنة 1264م ثم طلب الفونسو الى بونافنتواداسيينا الايطالي ترجمتها من القشتالية الى اللاتينية والفرنسية القديمة في نفس السنة لأذاعتها فيما وراء الحدود الاسبانية, وكان ذلك متمشياً مع سياسة الملك الفونسو في تشجيع الفنون والعلوم. وبذلك ايد تشيرولي فكرة بلاثيوس في احتمال نقل برونيثولاتيني لداننى بعض المعلومات عن الاسراء والمعراج الاسلامي . كانت الفرصة سانحة امام دانتي لكي يلم بعلم ما بعد الحياة عند المسلمين بطريق غير مباشر. مما كان معروفاً لدى علماء الغرب في العصر الذي عاش فيه. ومن المحتمل انه اطلع على الترجمة اللاتينية والفرنسية للمعراج الاسلامي المشار اليه ولا يبعد انه استمع الى بعض الرهبان الذين كانوا على علم برأي الاسلام وعلماء المسلمين عن عالم الاخرة. واقرب الشبه بين دانتي والاسلام قائم في بعض الصور القرآنية, وبعض اراء المفسرين وبعض

Print ISSN: 2791-2248
Online ISSN: 2791-2256
مَجلّةُ تَسْنِيمِ الدَوليّة
للعُلومِ الإنسانيّةِ والاجتمَاعيّةِ والقانونيّةِ

افكار المتصوفين الاشراقيين كأبن عربي , عن بعض صور " الجحيم والمطهر والفردوس" والصلة ضعيفة بين دانتي وابي العلاء المعري في رسالة الغفران لاختلاف الطريقة والمضمون العام في كل منهما " ونرى ان هذا يغنينا عن الكثير للاستدلال على ما نبتغيه في هذا المكان (سابق، فلسفة الاستشراق واثرها في نهضة الادب المعاصر ، الصفحات 591-594)

2. الخاتمة :

في ختام الدراسة لا بد من الاشارة الى ان للاستشراق الاثر البالغ في الادب العربي بصورة عامة والنثر بصورة خاصة .

تناول البحث اهم عوامل النهضة الادبية ونهضة النثر من عصر ما قبل الاسلام وصولا الى العصر الحديث واثر الاستشراق في نهضة النثر واطلال النثر العربي على منبع الثقافات العالمية وتأثيره، وتأثره فيها من خلال الدراسات المتبادلة . اكد البحث ان للاستشراق قيماً متشعبة الاطراف لا يمكن انكار أي منها مطلقاً فهو يلعب دوراً رئيسياً في الميادين المتعددة مستهدفاً التفاهم الفكري والتبادل الثقافي والتعاون الادبي بين الشرق والغرب, فهو يساعد على نمو الروح الانسانية هنا وهناك بشرط تحرره من الاحكام التعسفية .

فضلا عن ذلك لا بد من التنويه الى ان هناك عدة مآخذ عن الاستشراق حيث نجد العديد من الباحثين المسلمين يرون أن الاستشراق ما هو إلا سوى أسلوب من أساليب الغزو الفكري، وان هذه الحركة دعت إلى توسيع الفجوة بين الإسلام والمسلمين . الا انه لا يمكن انكار هذه الحركة على ادبنا العربي, إذ اسهم المستشرقون على خلق نهضة ادبية في الوطن العربي من خلال نشرهم الكتب القديمة بعد تحقيقها ومراجعة اصولها وبذلك تحقق الانفتاح على الثقافات الاخرى وكذلك الاطلاع على الثقافات العالمية من خلال حركة الترجمة .

وفي اخر الحديث ارجوا ان اكون قد وفقت في كتابة هذا البحث والله ولي التوفيق .

الباحث

العدد السابع عشر – حزيران – 2026 / June

المصادر:

[1] ابن منظور محمد بن مكرم بن علي الانصاري. (1990). لسان العرب (المجلد السادسة). بيروت، لبنان.

[2] احمد حسن الزيات. (1997). تاريخ الادب العربي (الإصدار دار المعرفة ، المجلد الرابعة).

[3] احمد درويش. (2004). الاستشراق الفرنسي والادب العربي (الإصدار دار غريب للنشر والتوزيع).

القاهرة، القاهرة.

[4] احمد سمايلوفتش. (1998). فلسفة الاستشراق واثرها في الادب العربي المعاصر (الإصدار دا الفكر العربي). القاهرة.

[5] احمد هيكل. (1968). تطور الادب الحديث في مصر (الإصدار دار المعارف بمصر)

[6] ادوارد سعيد. (2005). الاستشراق (الإصدار الطبعة السادسة). (كمال ابو ديب ، المترجمون)

[7] اسماعيل علي. (2000). الاستشراق بين الحقيقة والتضليل (الإصدار دار الكلمة ، المجلد الثالثة). مصر.

[8] السباعي بيومي. (1956). تاريخ القصة والنقد في الادب العربي (الإصدار مكتبة الانجلو المصرية). مصر.

[9] الطيب بن براهم. (20004). الاستشراق الفرنسي وتعدد مهامه خاصه في الجزائر (الإصدار دار المنابع للنشر والتوزيع ، المجلد الاولى). الجزائر.

[10] انور الجندي. (1968). اضواء على الادب العربي المعاصر (الإصدار دار الكتاب العربي).

[11] انيس المقدسي. (بلا تاريخ). الفنون الادبية واعلامها (الإصدار دار العلم للملايين).

[12] د. صلاح الدين محمد عبد التواب. (2005). مدارس الشعر العربي في العصر الحديث (الإصدار دار الكتاب الجديث). القاهرة.

[13] رودي بارت. (1967). الدراسات العربية والاسلامية في الجامعات الالمانية (المستشرقون الالمان منذ تيودور نولدكه) (الإصدار دار الكتاب العربي). القاهرة.

[14] سهير القلماوي. (1966). الف ليلة وليلة (الإصدار دار المعارف بمصر).

[15] شفيع البقاعي. (1990). ادب عصر النهضة (الإصدار دار العلم للملايين، المجلد الاولى).

[16] شوقي ضيف. (1965). الفن ومذاهبه في الادب العربي (الإصدار دار المعارف بمصر).

[17] صبحي حموي. (2003). المنجد في اللغة العربية (المجلد الثانية). بيروت: دار المشرق.

[18] صلاح الدين محمد عبد التواب. (2005). مدارس الشعر العربي في العصر الحديث (الإصدار دار الكتاب الحديث).

[19] عبد الحميد المسلوت. (1963). محاضرات في الادب العربي (الإصدار دار الطباعة المحمدية).

[20] عبد الحميد المسلوت. (1963). محاضرات في الادب العربي.

[21] عبد اللطيف حمزة. (1964). ادب المقالة الصحفية (الإصدار دار الفكر العربي).

[22] عبد المحسن طه بدر. (1963). تطور الروايع العربية الحديثة (الإصدار دار المعارف). مصر.
[23] عمر الدسوقي. (بدون تاريخ). نشأة الشعر الحديث وتطوره (الإصدار دار الفكر العربي، المجلد الثانية).
[24] محمد حسن علي الصغير. (1982). المستشرقون والدراسات القرآنية (الإصدار المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، المجلد الاولى). بيروت.
[25] محمد عبد المنعم الخفاجي. (بدون تاريخ). دراسات في الادب المقارن (الإصدار دار الطباعة المحمدية).
[26] محمد مفيد الشوباشي. (1968). رحلة الادب العربي الى اوربا (الإصدار دار المعارف). القاهرة.
[27] مصطفى الشعكة. (1968). الادب في موكب الحضارة الاسلامية (الإصدار مكتبة لانجلو المصرية).
[28] بن كلثوم عائشة. (2017). (اثر الاستشراق في النهضة الادبية الحديثة طه حسين انموذجاً)، رسالة ماجستير، الجزائر .